

البحث البلاغي لأسلوب الاستفهام في سورة الرحمن

م.م أحمد سوداني حسين

مركز دراسات البصرة والخليج العربي / جامعة البصرة

ahmed.sudani@uobasrah.edu.iq

المخلص:

تهدف هذه الدراسة، من وجهة نظر الباحث، إلى إلقاء نظرة شاملة على الأغراض والأسرار البلاغية للمعاني التي يتضمنها أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم. فالاستفهام ليس مقتصرًا على طلب الفهم أو الإعلام، بل يمتد إلى تعبير عن معانٍ يمكن استنتاجها من السياق والظروف، ويتم ذلك ببراعة بلاغية عبر استخدام الاستفهام بشكل غير مباشر، ما يتيح فرصًا لاصطياد المعاني بذكاء.

وقد أظهرت الدراسة أن خروج الاستفهام عن مجرد طلب الإجابة يعكس معانٍ عديدة تحمل لمسات بلاغية، مثل التشويق، والتقرير، والإنكار، والاستنباط، دون اللجوء مباشرة إلى عرض المخاطب وبالتالي، يتناول محور البحث في هذه الدراسة فحص تلك الأغراض البلاغية التي يمكن استنباطها من معاني استخدام الاستفهام في القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: (الاستفهام، البلاغة، المعاني).

Style of Interrogation for Rhetorical Inquiry in Surah Ar-Rahman

Ahmed Sudani Hussein

Center for Basra and Arabian Gulf Studies / University of Basra

Abstract:

This study aims, from the researcher's perspective, to provide a comprehensive overview of the rhetorical purposes and secrets of meaning embedded in the style of interrogation in the Quran. Interrogation is not limited to seeking understanding or information but extends to expressing meanings that can be inferred from context and circumstances, skillfully employing rhetorical devices through indirect questioning, thereby providing opportunities to capture meanings cleverly.

The study demonstrates that moving beyond mere solicitation of answers, interrogation reflects multiple meanings with rhetorical nuances, such as suspense, narration, negation, and persuasion, without directly addressing the addressee. Consequently, the focus of this research is to examine these rhetorical purposes that can be derived from the meanings of interrogation in the Quran.

Keywords: (Interrogation, Rhetoric, Meanings).

المقدمة:

الحمد لله الذي أحفل القرآن بروائع بيان تتعالى بلا انقطاع وتتوالد بلا انقضاء، وأرحبه بكنوز تمتع النفوس وتبهر العقول فتحثهما على تتبعها بلا كلل ولا ارتخاء، والصلاة والسلام على من خص بذلك القرآن معجزة خالدة، وعلى آله وصحبه الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإني لا أعرف فرعاً أبسق ولا جني أحلى وأكرم من القرآن، جني يؤتي أكله كل حين بإذن ربه، لذا كلما سولت لي نفسي أن أنحى منحى بعيداً عن القرآن في البحث والكتابة رغبة في التنويع الهام -بفضل ربي- بما يرجعني إلى القرآن، كان هذا في ساعة مباركة من يوم مبارك استيقظت فيه فجرًا لأداء الصلاة وتلاوة القرآن عقبها - وكنت أحظى بسكينة وتيقظ قلما أحظى بهما- فإذا بي أقرأ (سورة الرحمن) بحكم وصول تلاوتي إليها، تلك السورة التي طالما تلوتها وطالما اهتز وجداني لمفتتحها (الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (سورة الرحمن، ٣:١)، غير أن لقراءتها هذه المرة وقعاً جديداً، إذ لفت انتباهي الاستفهام فيها فكأنه يصوت تباعاً بثقة ويقين ليعلن عن نفسه، وكأن القلب يخفق مع كل صوت لذا عزمت على الإصغاء وتلبية النداء وتتبع الأمر وموافاة الموضوع مع تيقني بعدم يسره.

ومما غدي عزيمتي رغبت المتأصلة بدراسة الاستفهام بل بالأحرى أساليب الإنشاء الطلبي بشكل أعمق مما هو شائع مطروق في أغلب الدراسات البلاغية، إذ سلف انتفاضي على طريقة العرض المفتقرة إلى الاستقراء الدقيق والتأمل العميق المثمرين المعنى الأولى والبلاغة الأجدى، والمقتصرة عادة على الإفصاح عن المعنى المجازي للنصوص، متأثرة في ذلك بقول عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ): "واعلم أنك لا تشفي العلة ولا تنتهي إلى ثلث اليقين حتى تتجاوز حد العلم بالشيء مجملاً إلى العلم به مفصلاً، وحتى لا يقنعك إلا النظر في زواياه والتغلغل في مكانه،

حتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه، وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يصنع فيه إلى أن يعرف منبته ومجرى عروق الشجر الذي هو منه"^(١).

هل تساءلت يوماً عن سرّ تميز سورة الرحمن بين سائر سور القرآن الكريم؟

هل تذوقت عذوبة أسلوبها الفريد وروعيتها البلاغية؟

هل تأملت في كثرة الأسئلة التي تتخللها وتُضفي عليها روح الدعوة والتأمل؟

إنّ سورة الرحمن رحلةً روحيةً تأخذنا بيد الإيمان إلى عظمة الخالق وجلاله، ودعوةً صريحةً للتأمل في آياته ونعمه التي لا تُحصى.

ومن بين الأساليب البلاغية التي تُضفي على هذه السورة سحرها الخاص، أسلوب الاستفهام، ذلك الأسلوب العميق الذي يجذب انتباه القارئ ويُحرّك مشاعره ويُثير تفكيره.

فما هي وظائف أسلوب الاستفهام في سورة الرحمن؟

وكيف يُؤثّر على المعنى ويُثري التجربة الروحية للقارئ؟

هذه الأسئلة هي ما سنُجيب عليها في هذا البحث، ونُحلّق معاً في رحاب سورة الرحمن، ونُبحر في عظمة الخالق ونُعيّمه.

في رحلتنا البلاغية عبر آيات الاستفهام سنرى كيف تميزت سورة الرحمن في القرآن الكريم بأسلوبها الفريد الذي يزخر بالصور البلاغية المؤثرة، ومن بين هذه الصور يبرز أسلوب الاستفهام بشكلٍ جليّ .

ويُعدّ الاستفهام أحدَ الوسائل الفعّالة التي يستخدمها القرآن الكريم لجذب انتباه القارئ وتوجيه تفكيره نحو المعاني العميقة التي تُخفيها الآيات الكريمة، فلا يقتصرُ الاستفهامُ في سورة الرحمن على نقل المعلومات، بل يتعداه ليكونَ دعوةً للتأمل والتفكير في عظمة الله ونعمه التي لا تُحصى .

ويتجلى ذلك في العديد من الآيات التي تبدأ بأسئلة تُثير مشاعر التعجب والاندهاش، مثل:

• "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"

• " هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ "

فكلّ آيةٍ من هذه الآيات تُمثّلُ رحلةً بلاغيةً تُحرّكُ مشاعر القارئ وتُدفعُهُ إلى التفكير في عظمة الخالق وقدرته على خلق كلِّ شيء، وتؤكدُ هذه الآياتُ على أهمية التأمل في النعم التي أنعم الله

بها على عباده، مثل نعمة الحياة ونعمة العقل ونعمة الإيمان، وتُساعدُ هذه الآيات القارئ على إدراك عظمة الله وقدرته، وتؤكدُ على أنّ الله هو وحده المستحقّ للعبادة والشكر .

أهمية الدراسة: يثير الاستفهام مشاعر التعجب والتأمل في عظمة الله ونعمه، مما يدفع القارئ إلى التفكير في عظمة الخالق ونعمه التي لا تحصى ويلفت الاستفهام انتباه القارئ إلى النعم المذكورة في السورة، ويجعله يدرك عظمة الله وقدرته على خلق كل شيء ويثير الاستفهام فضول القارئ ويدفعه إلى معرفة المزيد عن النعم التي أنعم الله بها على عباده ويؤكد الاستفهام على معاني الآيات ويجعلها أكثر وضوحًا في ذهن القارئ .

حدود الدراسة: الحد الموضوعي أسلوب الاستفهام للبحث البلاغي في سورة الرحمن.

الحد المكاني: القرآن الكريم (سورة الرحمن).

منهج البحث: المنهج الوصفي التحليلي.

مشكلة البحث: تحديد مفهوم أسلوب الاستفهام بشكل عام ومعرفة أغراضه وأنواعه ودلالته في الآيات القرآنية.

الدراسات السابقة:

١. أساليب الاستفهام في البحث البلاغي وأسرارها في القرآن الكريم، للباحث: محمد إبراهيم محمد شريف، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، الجامعة الإسلامية العالمية، بإسلام آباد - باكستان، ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧.

٢. الدرس اللغوي في سورة الرحمن في ضوء الدرس اللغوي الحديث، للدكتورة: زينب زيادة دسوقي البغدادي، حولية كلية اللغة العربية بجرزا مجلة علمية محكمة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية جامعة الأزهر، ع ٢١، ج ٢، ٢٠١٧م.

٣. الاستفهام في القرآن الكريم دراسة بلاغية نحوية، للباحثة: بوعزة هاجر، وبوعزة فتيحة، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، كلية الأدب و اللغات و الفنون، ٢٠١٧/٢٠١٨م.

٤. التكرار في القرآن الكريم: دراسة بلاغية: سورة الرحمن أنموذجاً، الرويلي، عواد عبدالرحمن صياح، مجلة كلية الآداب، الناشر: جامعة القاهرة - كلية الآداب، مج ٨٠، ج ٤، ٢٠٢٠م.

٥. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم وعلاقته بالقيم التربوية، دراسة تحليلية بلاغية، للباحث: نوننج كوملاساري، رسالة مقدمة لتكملة الشروط للحصول على درجة الماجستير، برنامج الدراسات العليا قسم اللغة العربية كلية التربية والتعليم، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا، إندونيسيا، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م.

خطة البحث:

قد جاءت على النحو التالي:

المقدمة: قد احتوت على أهمية البحث وحدوده ومنهجه ومشكلته والدراسات السابقة وهيكلته.

المبحث الأول: تعريف الاستفهام في البحث البلاغي.

المبحث الثاني: أغراض وأهمية أسلوب الاستفهام.

المبحث الثالث: أنواع الاستفهام.

المبحث الرابع: أسلوب الاستفهام في سورة الرحمن.

الخاتمة: اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

الهوامش.

قائمة المراجع.

المبحث الأول: تعريف الاستفهام في البحث البلاغي.

تعريف أسلوب الاستفهام وأدواته: (٢)

الاستفهام لغة:

الاستفهام مشتق من الفهم معناه العلم والمعرفة بالقلب، يقال، فهمت الشيء أفهمه - بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع - فهما وفهما - وفهامة (٣) وفهامية (٤) فأنافاهم أفهمت فلاناً الكلام وفهمته إياه جعلته يفهمه وتفهمت الكلام فهمته شيئاً بعد شيء، و فهم اسم ابن عمر و بن قيس بن عيلان، ويقال السريع الفهم فهم، وفهم (٥) وفهم (٦) بسكون الهاء وفتحها وكسرها. واستفهمت فلاناً الكلام : طلبت منه أن يفهمني إياه فأفهمني وفهمني إياه أي أن الاستفعال هنا للطلب (٧) ونظيره الاستخبارات، هو طلب خبر ما ليس عند المستخبر فهو مثل الاستفهام لفظاً

ومعنى وإن فرق بعضهم بينهما بجعل الاستفهام أخص من الاستخبارات، لأن المستخبر يجاب بشيء، قد يفهمه، أولاً يفهمه، فإذا سأله ثانية فهو مستفهم، يقول أفهمني ما قلته لي^(٨) الاستفهام اصطلاحاً:

والاستفهام في الاصطلاح طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن مالم يكن حاصلًا عنده مما سأله عنه^(٩)

أسلوب الاستفهام أسلوب لغوي من أساليب السؤال، يهدف إلى طلب الإفهام تصوراً أو تصديقا، ويستعمل للاستفهام عن أمر يجمله السائل؛ وهو في التعريف: طلب خبر ما ليس عندك، أو هو طلب الفهم، هذا من حيث الأصل، وقد يستعمل الاستفهام على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة لمعنى يقصده السائل، كقول الوالد لولده: كم مرة قلت لك؛ لا تفعل هذا الفعل؟.. فالسؤال هنا لا يراد منه حقيقة الاستفهام، بل المراد منه تقييد الولد وتوبيخه على معاودته الفعل المنهي عنه، أما في القرآن فإن الله - سبحانه وتعالى - لا يستفهمنا عن شيء، وإنما يكون للإقرار أو الإنكار والتوبيخ والتذكير أن الخلق قد علموا حق ذلك الشيء.

وللإستفهام مسميات؛ منها: الاستخبار، الاستنبات، السؤال.

وركانه: المستفهم عنه، والمستفهم به (أدوات الاستفهام).

ويُعرف أسلوب الاستفهام في البحث البلاغي على أنه أسلوب إنشائي يهدف إلى التأكيد والتوضيح، ولا يتطلب بالضرورة إجابة فعلية. يستخدم هذا الأسلوب لاستدراك انتباه المستمع أو القارئ وإثارة تفكيره ومشاعره.

أقسام الاستفهام:

قسم النحويون الاستفهام إلى نوعين:

- ١- الاستفهام الحقيقي: يقصد به صاحبه معرفة ما يجمله.
- ٢- الاستفهام المجازي: يعلم فيه صاحبه جوابه ولكنه يقصد معنى آخر يفهم من السياق بعد التأمل في النص، وأطلق عليه بعض النحويين الاستخبار؛ قال ابن فارس: الاستخبار: طلب خبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق؛ قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار؛ لأنك تستخبر فتجاب بشيء فربما فهمته، وربما لم تفهمه، فإذا

سألت ثانية فأنت مستفهم، تقول: أفهمني ما قلته لي، قالوا: والدليل على ذلك أن البارئ - جل ثناؤه - يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم.

ويقسم الاستفهام من حيث الإثبات والنفي إلى قسمين: الاستفهام المثبت، والاستفهام المنفي، ولا فرق بين النوعين، إلا أن الأول يخلو من أحرف النفي، والآخر يكون منفياً أدوات الاستفهام :

همزة الاستفهام: مثل قوله تعالى: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) (١٠)

هل: قوله عز وجل: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (١١)

من: قوله عز وجل: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) (١٢)

ما: قوله عز وجل: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ - إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (١٣)

أين: قوله عز وجل: (فَأَيُّنَ تَدْهَبُونَ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (١٤)

كيف: قوله عز وجل: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ) (١٥)

المبحث الثاني: أغراض وأهمية أسلوب الاستفهام.

أغراض أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم:

١. تنبيه المخاطب وإثارة انتباهه:

كقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ" (١٦)

٢. تحريك المشاعر وتأثيرها:

كقوله تعالى: "أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ" (١٧)

٣. إثارة التفكير والتأمل:

كقوله تعالى: "أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ" (١٨)

٤. تقرير المعنى وتأكيداه:

كقوله تعالى: "الَّذِينَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ" (١٩)

٥. التعجب من أمر ما:

كقوله تعالى: "أَفَسَحَرُوا أَنْ لَمْ يَجِدُوا آبَاءَهُمْ عَاكِفِينَ" (٢٠)

٦. التوبيخ والتقريع:

كقوله تعالى: "أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ" (٢١)

٧. التهكم:

كقوله تعالى: "أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ" (٢٢)

٨. التعليم:

كقوله تعالى: "قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا" (٢٣)

المبحث الثالث: أنواع الاستفهام في القرآن الكريم:

١. الاستفهام الحقيقي:

يُراد به طلب العلم، ويُجيب عليه المُخاطب، كقوله تعالى "وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُنزِلَ إِلَيْكَ" (٢٤)

٢. الاستفهام التقريري:

يُراد به تقرير المعنى وتأكيدهِ، ولا يُنتظر جواباً من المُخاطب، كقوله تعالى "أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ" (٢٥)

٣. الاستفهام التّعجبِي:

يُراد به التّعجب من أمرٍ ما، كقوله تعالى "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ" (٢٦)

٤. الاستفهام الإنكاري:

يُراد به إنكار ما يدّعيه المُخاطب، كقوله تعالى "أَفَتَسْأَلُونَهُ الْأَجْرَ فَأَجْرُ رَبِّكَ خَيْرٌ" (٢٧)

٥. الاستفهام التوبيخي:

يُراد به توبيخ المُخاطب وتقريعه، كقوله تعالى "أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ" (٢٨)

٦. الاستفهام التّشويقي:

يُراد به إثارة فضول المُخاطب وجذبه إلى المعنى، كقوله تعالى "وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" (٢٩)

٧. الاستفهام الاستنكاري:

يُراد به التّعبير عن استنكار أمرٍ ما، كقوله تعالى "أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً

مَرْضِيَّةً فَأَدْخُلِي جَنَّتِي مَعَ عِبَادِي الصَّالِحِينَ" (٣٠)

٨. الاستفهام التّعليمي:

يُراد به تعليم المخاطب وتوجيهه، كقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى" ^{٣١}

٩. الاستفهام التحضيض:

يُراد به تحفيز المخاطب على فعل أمرٍ ما، كقوله تعالى: "أَلَا تَذَكَّرُونَ" (٣٢)

يُعدّ أسلوب الاستفهام من أهم الأساليب القرآنية التي تُستخدم لتحقيق مقاصد شتى، فهو أسلوب بلاغيّ مؤثّر يُثري المعنى ويُضفي عليه جمالية وبلاغة.

المبحث الرابع: أسلوب الاستفهام في سورة الرحمن.

تُعدّ سورة الرحمن من أجمل سور القرآن الكريم، فهي سورة مكية نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، وتُعرف أيضاً بسورة "العزّش". وتتميز سورة الرحمن بأسلوبها البلاغيّ الزاقي، ومن أهم الأساليب التي تُستخدم فيها هو أسلوب الاستفهام. أولاً، تحديد آيات الاستفهام:

تتكرر آية الاستفهام "قبأي آلاء ربكما تكذبان" إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن، مما يدل على أهمية هذا الأسلوب في السورة. وقد يكرر؛ لتعدد المتعلق كما كرره الله تعالى من قوله: {قَبَائِيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، ووجه ذلك أن الله تعالى إنما أوردتها في خطاب الثقلين الجن والإنس، فكل نعمة يذكرها، أو ما يؤول إلى النعمة، فإنه يردفها بقوله: "قَبَائِيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" تقريراً للآلاء، وإعظاماً لحالها

ثانياً، تحليل وظائف أسلوب الاستفهام:

• التّحدّي:

يُستخدم أسلوب الاستفهام للتّحدّي، ودعوة المشركين إلى التفكير في عظمة الله تعالى ونعمه، وإثبات عجزهم عن إنكارها.

• التّقرّيع:

يُستخدم أسلوب الاستفهام لتقرّيع المشركين على كفرهم ونكرانهم لنعم الله تعالى.

• التّذكير:

يُستخدم أسلوب الاستفهام لتذكير المؤمنين بنعم الله تعالى وحثهم على الشكر.

• إثارة الانتباه:

يُستخدم أسلوب الاستفهام لإثارة انتباه القارئ وجذبه إلى المعنى.

• التّعجب:

يُستخدم أسلوب الاستفهام للتّعجب من عظمة الله تعالى ونعمه.

ثالثاً، تحليل السياق الذي ترد فيه آيات الاستفهام:

ترد آيات الاستفهام في سورة الرحمن في سياق ذكر نعم الله تعالى على الإنسان، من خلقه من صلصال كالفخار، إلى تعليمه البيان، وخلقه للجن من مارح من نار، وخلقه للشمس والقمر والنجوم، وخلقه للبحار والأنهار، وخلقه للأرض وما فيها من فواكه ونخيل، وخلقه للإنسان في أحسن تقويم .

رابعاً، تحليل التأثير البلاغي لآيات الاستفهام:

• التّوكيد:

يؤكد أسلوب الاستفهام على عظمة الله تعالى ونعمه، ويثبت عجز الإنسان عن إنكارها.

• التّحريك:

يُحرك أسلوب الاستفهام مشاعر القارئ ويؤثر على وجدانه، ويثير تفكيره وتأمله في قدرة الله تعالى.

• التّعليق:

يُعلق أسلوب الاستفهام على نعم الله تعالى، ويُظهر عظمة الخالق وعجز المخلوق.

• التّشويق:

يُشوّق أسلوب الاستفهام القارئ لمعرفة المزيد عن نعم الله تعالى.

خامساً، تحليل بعض الأمثلة من السورة:

• "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" (٣٣)

التّحليل:

• التّحدّي:

يُحدّي الله تعالى المشركين في هذه الآية، ويُطالبهم بإثبات قدرتهم على إنكار نعمه.

• التّوكيد:

تؤكد الآية على عظمة الله تعالى ونعمه التي لا حصر لها .

• التّعجب: تُعبّر الآية عن التّعجب من قدرة الله تعالى على خلق كلّ ما في الكون. وحكمته.

أهم أدوات الاستفهام في سورة الرحمن:

وردت صيغ الاستفهام في سورة الرحمن عدة مرات خارجة عن معناها - طلب الفهم عن شيء لم يكون معلوما من قبل - اما الأدوات مستعملتان فيها هما: أي، وهل، وسيأتي بيانها فيما يلي :
الاستفهام ب (أي) ^(٣٤) :

• أي: تكررت ٣١ مرة في السورة، واستخدمت للتقرير والإنكار والتعجب (١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٥، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧٧، ٧١، ٧٥، ٧٣).

هي: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) الفاء الفصيحة وبأي متعلقان بتكذبان وآلاء مضاف إليه وربكما مضاف لآلاء وتكذبان فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وألف التنثية فاعل والخطاب للثقلين الذكر والأنثى أدوات الاستفهام في هذه السورة يعني " أي " والاستفهام فيها للتقرير لما روى احاكم عن جابر قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد.

• الاستفهام ب(هل) : استخدمت مرة واحدة للتقرير، ومن ذلك :

قول الله تعالى: " هل جزاء الإحسان إلا الإحسان " ^(٣٥) هل للاستفهام، جزاء مبتدأ مرفوع.
الإحسان مضاف إليه، إلا للحصر. الإحسان خبر مرفوع أدوات الاستفهام في هذه الآية يعني " هل " والاستفهام فيها بمعنى النفي، أي ما جزاء الإحسان.

سادسا - معاني أسلوب الاستفهام في سورة الرحمن :

(الآية ١٣) ^(٣٦) : فبأي آلاء ربكما أيها الثقلان من الإنس والجن تكذبان؟! (الفاء لترتيب الإنكار التوبيخ) على ما فصل من أنواع النعم، والاستفهام للإنكار بأي نعمة من نعم مربيكما ومالك أمركما أيها الثقلان تكذبان وتكذيب النعمة يكون بإنكار كونها من الله سبحانه مع عدم الاعتراف

بكونها نعمة كتعليم القرآن، أو بإنكار كونها من الله مع الاعتراف بكونها نعمة كالنعم الدنيوية، والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لأن دلالة النعم على الله ظاهرة، وكأنها شاهدة بذلك فكفرهم بها تكذيب لها، ولعل سائلا يسأل ويقول : لم هذا التكرار في قوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان والجواب إنه إنما حسن التكرار لإقرار بالنعم المختلفة.

(الآية: ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨) ^(٣٧): خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا أمام الدنيا ومغزياتها وأمام المرأة ومفاتها وأمام عرض الحياة وزخارفها، فاعرفوا أنفسكم، وقوا ضعفكم وانصروا دواعي الخير والفضيلة فيكم التي هي من دواعي الروح، واحذروا إبليس فإنه من الجان، وقد خلق من مارج من نار، أليس لهب النار أحرق متعاليا مغرورا مدفوعا إلى الإيذاء؟ فاحذروا وسوسته واستعينوا بالله منه، ألسنت معي أن ذلك البيان من أجل نعم الله علينا؟! فبأي آلاء ربكما تكذبان؟.

مرج البحرين العذب والملح يلتقيان في مصاب الأنهار بينهما حاجز من الياض لا يبغيان على بعضهما ولو شاء لاختلطا فضاعت فوائد الملح وعذوبة الماء العذب فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ يخرج من مجموع البحرين اللؤلؤ والمرجان، فبأي آلاء ربكما تكذبان والله ﷻ في البحر عذبه واملحه السفن متى تجرى على سطح الماء وتتهدى كالعروس، هذه السفن المرفوعات الشراع في البحر كالجبال تغدو وتروح حاملة الخير والبركات، ولو شاء لجعل البحر ساكنا ولما استطاعت السفن أن تطفو على الماء، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟، ويبقى ذات ربك ذي الجلال والتعظيم والإكبار من خلقه، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟.

(الآية: ٣٠، ٣٤، ٣٦) ^(٣٨): يرجع الأمر تبارك رب العالمين، وإذا كان الأمر كذلك الله فبأي آلاء ربكما ونعمه تكذبان مما يجيب به سؤالكما أيها الثقلان؟، فبأي آلاء ربكما تكذبان التي من جملتها التنبيه على ما سيلقاه الناس يوم القيامة تحذيرا عما يؤدي إلى سوء الحساب، فلا تقدرين على الامتناع مما يرسل عليكم، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟.

(الآية: ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢) ^(٣٩):

(وما الداعي إلى طلبهم الفرار ومحاولتهم له ! ثم لا يقدرين ! والجواب أنه يرسل عليكم أيها العصاة شواظ من نار ولهب خالص بلا دخان يشبه النحاس في اللون فلا تقدرين على الامتناع مما يرسل عليكم، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ولا شك أن التهديد بالعقاب، والتمييز بين المطيع

والعاصي بالجزاء الكامل من عداد النعم الجليلة، فإذا انشقت السماء وانصدعت يوم القيامة فكانت كالوردة في الحمرة تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم، وتصير مثل الدهن لرقنتها وذوبانها فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ فيوم إذ تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان لأنهم يعرفون بسيماهم، وهذا عند الخروج من القبر وما يدل على السؤال كقوله: فوربك لنسألنهم أجمعين في موقف آخر وهو موقف آخر وهو موقف الحساب، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟!، ولم لا يسألون؟ والجواب أنهم يعرفون بسيماهم فيؤخذون بالنواصي والأقدام، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟! (٤٠).

(الآية: ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣) (٤١):

الخوف من الله، واعتقاد المؤمن أن ربه مهيمن عليه مراقب له، حافظ لأحواله يدعو إلى العمل الصالح، وإلى الإحسان فيه، ولمن حاف قيام ربه عليه جنتان يتمتع | فيهما، وينتقل بينهما، فبأي آلاء ربكما تكذبان وهاتان الجنتان ذواتا أفنان أي : ذواتا أنواع من الشجر والثمار، ففيهما ثمر وظلال، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ فيهما عينان تجريان بالماء الزلال، روى أن إحداهما تسمى بالتسليم والأخرى بالسلسيل فبأي آلاء ربكما تكذبان؟، فيها من كل فاكهة صنفان صنف في منتهى الحلاوة واللذة، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟.

(الآية: ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥) (٤٢):

على أن جنى الجنتين دان وقريب فهو على طرف الثمار يدركه القائم والعالم والجالس والماشي فليس عاليا كالنخل، ولا يحوطه شوك كالوردة، وإنما هو من نوع عال لكنه قريب المنال، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟، وقيل: كالمرجان حمرة، فبأي آلاء ربكما، تكذبان؟.

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان الاستفهام بمعنى النفي، والجملة استئناف مقرر المضمون ما قبله أي ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب والجزاء. (٤٣)

ومن دون هاتين الجنتين التي مضى وصفهما جنتان أخريان، والكل أعد للخائفين الوجلين المسارعين في الخيرات السابقين، وأصحاب اليمين، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟، هاتان الجنتان مدهامتان وقد وسط القرآن قوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان بين الجنة وصفتها للإشارة إلى أن تكذيبهم بوجود الجنة فضلا عن تكذيبهم بصفتها الحقيقية بالإنكار والتوبيخ.

(الآية : ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧) ^(٤٤):

هاتان الجنتان اشتدت خضرتهما لكثرة مائهما، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟! فيهما عينان فوارتان بالماء الكثير، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟! فيهما فاكهة يتفكه بها، وخاصة النخل والرمان، ولعل تخصيصهما تخصيصهما بالذكر لكثرة وجودهما في الجزيرة العربية، فبأي آلاء ربكما تكذبان!؟
فيهن نساء خيرات حسان في الخلق والخلق ، وإذا وصفهن بالحسن ربك فكيف من مخلوق على بيان كنهه والوقوف على مداه؟ فبأي آلاء ربكما أيها الثقلان تكذبان؟.

هؤلاء النساء حور شديدات البياض، وفي عيونهن حور، وهن مقصورات في الخيام محبوسات محجبات لا يتبدلن في شارع أو سوق، ولا يخرجن لبيع أو شراء، والحجاب الذي يقصده الشارع ويصف به الحور العين هو البعد عن التبذل، أباكارا لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟.

أصحاب هذه الجنان يتمتعون متكئين على رفر فخر، وثياب تشبه الرياض عبقرية عجيبة غريبة، بلغت منتهى الحسين والجمال، فبأي آلاء ربك تكذبان؟. ^(٤٥)

الخاتمة

في ختام هذا البحث، نستطيع أن نلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها فيما يلي:

- أسلوب الاستفهام من أهم الأساليب البلاغية التي تُستخدم في سورة الرحمن.
- يُؤدّي أسلوب الاستفهام وظائف متعددة في سورة الرحمن، منها:
 - التّحدّي: دعوة المشركين إلى التفكير في عظمة الله تعالى ونعمه .
 - التّقرّيع: تقرّيع المشركين على كفرهم ونكرانهم لنعم الله تعالى
 - التّذكير: تذكير المؤمنين بنعم الله تعالى وحثهم على الشكر.
 - إثارة الانتباه: جذب انتباه القارئ إلى المعنى.
 - التّعجب: التّعجب من عظمة الله تعالى ونعمه.
- يُوكّد استخدام أسلوب الاستفهام في سياق ذكر نعم الله تعالى على عظمة الله تعالى ونعمه.

- يُحرّك أسلوب الاستفهام مشاعر القارئ ويؤثّر على وجدانه ويثير تفكيره وتأمّله في قدرة الله تعالى.
- وهناك أيضاً بعض النقاط الإضافية التي نوّد ذكرها:
- تتميز سورة الرحمن بأسلوبها البلاغيّ الرّاقِي، وتُعَدّ من أجمل سور القرآن الكريم.
- تُعدّ آية "فبأي آلاء ربكما تكذبان" من أكثر الآيات تكراراً في سورة الرحمن، ممّا يدلّ على أهميتها.
- يمكن تحليل استخدام أساليب بلاغية أخرى في سورة الرحمن، مثل أسلوب التّشبيه والاستعارة.
- أهم النتائج التي توصلنا إليها من تحليل أسلوب الاستفهام في سورة الرحمن:
- أن الاستفهام من أهم الأساليب البلاغية التي استخدمها القرآن الكريم.
- أن الاستفهام في سورة الرحمن يُستخدم لتحقيق أغراضٍ متنوعة، منها: التقرير، والتعجب، والتوبيخ، والتحذير، والترغيب، والترهيب.
- أن الاستفهام يُضفي على الكلام حيويةً وقوّةً، ويثير انتباه السامع ويثبّقه لمعرفة ما سيأتي بعده.

الهوامش :

- (١) دلائل الإعجاز ، ص ٢٦٠.
- (٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني - للجرجاني، ص ٢٦٣.
- (٣) ينظر ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب ١٢/٤٥٩ الطبعة الثانية (دار الفكر - بيروت).
- (٤) الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب القاموس المحيط ص: ١٠٥٦ الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- (٥) ينظر لسان العرب: ١٢/٤٥٩ و ٤٦٠. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١/ ١٨٨.
- (٦) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود ص: ٣٤٩ دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- (٧) ينظر: لسان العرب: ١٢/٤٥٩، والجوهري: إسماعيل بن حماد الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية و تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ٥/٢٠٠٥ الطبعة الثالثة (دار العلم للملايين بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- (٨) ينظر: ابن فارس احمد بن فارس، الصحابي، تحقيق السيد احمد صقر ص ٢٩٢ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة.

(٩) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم : ١٧ ٤٣ الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٥.

(١٠) (يس : ٨١)

(١١) (الرحمن: ٦٠)

(١٢) (الشعراء: ١٠٩)

(١٣) (البقرة: ٢٤٥)

(١٤) (التكوير: ٢٦، ٢٧)

(١٥) (سورة البقرة، الآية ٦٧)

(١٦) (الفجر: ٨)

(١٧) (النساء: ٨٢)

(١٨) (البقرة: ١٠)

(١٩) (الزمر: ٣٦)

(٢٠) (هود: ٩٥)

(٢١) (الأنبياء: ٩٨)

(٢٢) (الأعراف: ١٩٢)

(٢٣) (الأنعام: ١٤)

(٢٤) (الأنعام: ١٠٥)

(٢٥) (الزمر: ٣٦).

(٢٦) (الرحمن: ٢٥).

(٢٧) (سبأ: ٤٧).

(٢٨) (النساء: ٨٢).

(٢٩) (آل عمران: ١٩٨).

(٣٠) (الفجر: ٢٧-٣٠).

(٣١) (الروم: ٨).

(٣٢) (الأنعام: ٦٨).

(٣٣) (الرحمن: ١)

(٣٤) (الرحمن (١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧٧، ٧١، ٧٣، ٧٥).

(٣٥) (الرحمن: ٦٠)

(٣٦) (الرحمن: ١٣)

(٣٧) (الرحمن: ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨).

(٣٨) (الرحمن: ٣٠، ٣٤، ٣٢)

(٣٩) (الرحمن: ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢).

(٤٠) محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، ص ٢٨٦-٢٨٧

(٤١) (الرحمن: ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣).

(٤٢) (الرحمن: ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥).

(٤٣) محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، ص ٢٨٩.

(٤٤) (الرحمن: ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧).

(٤٥) محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح، ص ٥٩١.

المصادر والمراجع:

- ١- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني دلائل الإعجاز: دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان- عدد الأجزاء- الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
- ٢- الجوهرى : إسماعيل بن حماد الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ٢٠٠٥/٥ الطبعة الثالثة (دار العلم للملايين بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).
- ٣- الزمخشري جار الله محمود بن عمر أساس البلاغة تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.
- ٤- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الأشباه والنظائر في النحو تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥
- ٥- ابن فارس احمد بن فارس الصحابي تحقيق السيد احمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة.
- ٦- الفيروز آبادي مجدالدين محمد بن يعقوب القاموس المحيط ص: ١٠٥٦ الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.
- ٧- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب ، الطبعة الثانية (دار الفكر - بيروت).

- ٨- ابن السرج النحوي (٣٩٩هـ) البغدادي. (١٩٨٧). الأصول في النحو. (تحقيق: عبد الحسين الفتلي) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- ٩- ابن هشام (٧٦١هـ) الأنصاري. (١٩٩٨) مغني اللبيب عن كتب الأعراب (المجلد ١). (قدم له ووضع حواشيه وفهارسه حسن حمد، وراجعه د. إميل بديع يعقوب المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية
- ١٠- ابن هشام (٧٦١هـ) الأنصاري. (د. د. ت). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك وهو الشرح الكبير محمد محي الدين المحرر) بيروت لبنان منشورات المكتبة المصرية.
- ١١- أبو البركات (٥٧٧هـ) الأنباري . (٢٠٠٩). الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين ومعه كتاب الانتصاف من الأنصاف (محمد محيا العربي) القاهرة، مصر : دار الطلائع للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٢- أبو الحسن محمد بن عبد الله (٣٢٥هـ) الوراق. (١٩٩٩). علل النحو (المجلد ١). (تحقيق: د. محمود جاسم محمد الدرويش الرياض السعودية: مكتبة الرشيد.
- ١٣- أبو العباس محمد بن يزيد (٢٨٥هـ) المبرد (٢٠١٠). المقتضب. (تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، المحرر) بيروت، لبنان: عالم الكتب .
- ١٤- الإمام الخطيب القزويني -الإيضاح في علوم البلاغة- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان- عدد الأجزاء 1 :جزء- الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
- ١٥- محمود الحجازي، محمد التفسير الواضح، الجزء ٢١-٣٠، الطبعة العاشرة :بيروت : دار الجيل، ١٩٩٣م.

Sources and References

1. Abu Bakr Abd al-Qahir bin Abd al-Rahman bin Muhammad al-Jurjani Evidence of the Miracle: Publishing House: Dar al-Kutub al-Ilmiyah, Beirut, Lebanon – Number of Parts– First Edition.

2. Substantive: Ismail bin Hammad Al Hassah Taj Al Language and Al Hassah Al Arabic, An investigation: Ahmed Abdel Ghafur Attar 2005/5 Third Edition (Dar al Alam for Million Beirut 1404 AH – 1984 AD).
3. Al-Zamkhari, Jarallah Mahmoud Bin Omar Al-Raza Al-Rheem Al-Mahmud, Dar Al-Maarif, Beirut, 1982.
4. Al-Siouti Jalaluddin Abdel Rahman bin Abi Bakr Al-Shabbies and Isos in Grammar Investigation by Dr. Abdel Aal Salem Mukram, First Edition Message Foundation Beirut 1406 AH 1985.
5. Son of Fares Ahmed bin Fares Al Sahabi Achievement of Mr. Ahmed Saqer, Isa Al Babi Al Halabi Press and Associates Cairo.
6. Fairuz Abadi Magadaldine Muhammad ibn Yaqoub The dictionary of the periphery pp. 1056 First Edition The House of Arab Heritage Revival, Beirut Laban 1422 A.D. 2001.
7. Ibn Masdar Jamal al-Din Muhammad bin Makram al-Arabi, Second Edition (Dar al-Thought – Beirut).
8. Son of a grammar saddle (135, N) Al-Baghdadi. (1887). Origins in grammar. (Investigation: Abdel-Hussein Al Fattali) Beirut, Lebanon: Mission Foundation.
9. Son of Hesham (761 AH). (1998) Singer El Libib, about books of aarib (Vol. 1). (He gave it to him and placed it in his footnotes and catalogued it, Hasan Hamad. Emile Badie Yaqoub, Ed.) Beirut, Lebanon: Scientific Books.

10. Son of Hesham (761 AH). (Dr. (T). He is the son of Malek. He is accompanied by the Book of Several Ways to Enquire the Clearest Textbook, The Great Explanation by Mohamed Mohieldin (Editor).
11. Abu al-Barakat (577e) al-Anbari. (2004). Fairness in matters of disagreement between grammarians, opticians and Kuffeans, and with him the book Remedy of Ansaf (Muhammad) Mohya Al-Arabi) Cairo, Egypt: Tala 'I House for Printing, Publishing and Distribution.
12. Abu al-Hasan Muhammad bin Abdullah (325h) Al-Warraq. (1996). Graphic explanation (Volume 1). (Investigation: Dr. Mahmoud Jassim Muhammad Al-Darwish Riyadh Saudi Arabia: Al-Rashid Library.
13. Abo al-Abbas Muhammad al-Yazid (2010). Brief. (Investigation: Mohamed Abdel-Khaliq Azimah, Ed.) Beirut, Lebanon: Book Scientist.
14. Imam Khatib al-Qazwani – Explanation in the Science of Rhetoric – Dar al-Books, Beirut, Lebanon – Number of parts: 1 part – Edition: First edition, 1435 AH – 2014 CE.
15. Mahmoud Al-Hijazi, Mohammed The Explained Interpretation, Part 21-30, Tenth Edition: Beirut, Dar Al Gjeel, n.